كلا في القرآن الكريم:
دراسة نحويـة دلاليـة

أ.م.د. عبد الجبار احمد صالح*

تأريخ التقديم:٢٠٠٨/٧/١٦ تأريخ القبول:٢٠٠٨/١٢/٢٤

((كلاّ)) (حرف) ردع وزجر هذا مذهب الخليل وسيبويه[١] وعامة البصريين وذهب الكسائي وتلميذه نصير بن يوسف، ومحمد بن أحمد واصل إلى أنها تكون بمعنى حقاً.

ومذهب النضر بن شميل تؤول أنها بمعنى (نعم) وركب ابن مالك هذه المذاهب الثلاثة فجعلها مذهباً واحداً وقال في كتابه: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد[٢] ((كلا)) حرف ردع وزجر وقد تؤول بمعنى (حقاً) وتساوي ((إيْ)) معنى واستعمالاً، وذهب أبو حاتم السجستاني إلى أنها تكون رداً للكلام الأول وتكون للاستفتاح بمعنى ((ألا)) ووافقه الزجاج.

وذهب عبدالله بن محمد الباهلي إلى أنها تكون على وجهين: أحدهما أن تكون رداً للكلام ما قبلها فيجوز الوقف عليها. والآخر أن تكون صلة للكلام فتكون بمعنى ((إيْ)). وقيل إن كلا بمعنى سوف[٣].

وقال ابن هشام وقد تعين للردع أو الاستفتاح[٤] نحو ((رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت))[٥].

---

* قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

(١) الكتاب، ١/٢٧٥.

(٢) شرح، ١٣٥.

(٣) الجنى الداني في حروف العاني، ص ٥٧٧ج.

(٤) مغني اللبيب – ابن هشام الناصري ١/١٩٠ والكافية في النحو– أبن الحاجب ١/٤٢٠.

(٥) الجنى الداني: ٥٧٧.

((كـــلا)) حرف ردع لما قبلها وتأكيد لما بعدها وربما اقترن التأكيد بالأضراب الذي هيأت له كِـــــلا وأفادته ((بل))[١] ولما لهذه الأداة من القوة في النفي مع الزجر بدا لنا بعونه تعالى أن نقف عندها في القرآن الكريم الذي رقّىّ الأساليب وأوضح المفاهيم وأعطى قوة الأثر والتأثير في الملتقى وكـــــلا على غير ما تعود السامع من عمل أدوات النفي التي تأتي مقارنة بالمنفي أما هي فتأتي بالمنفي سابقاً لها على الأغلب لكنها تنسخ عنه الحكم، وكأن ذلك من قبيل المنكور الذي لا يصح أن يعقل أو يقبل، ودراستنا المتواضعة هذه جاءت على مرتبةً نسق ورود كلا في القرآن الكريم وبترتيب ورودها في آيات الذكر الحكيم كما يأتي:

١. ((أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتينّ مالاً وولداً * أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً * كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مداً)) فالجملة بدأت بالاستفهام الذي أفادته الهمزة وقد خرج هذا الاستفهام إلى الإنكار والتعجب من الاسم الموصول الذي وصل بالكفر وأتبع بعد ذلك بالقسم المؤكَّد بالنون[٢] وأستدعى أمر استغراب القول بالحصول على المال والولد وكلاهما لا شأن للمخلوق في تحصيلهما بل ذلك كله حصراً في إرادة الله تعالى القائل ((والله يرزق من يشاءُ بغير حساب))[٣] وقوله تعالى "يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور"[٤] فالقسم للحصول على هذه الأشياء ليس بشيْ ما لم تكن إرادة الله قد حلت فيه لذلك جاء النفي لها بعده لا بل الوعيد بسبب قوله ذلك، قال تعالى: اطلع الغيب أم أتخذ عند الرحمن عهداً[٥] ((كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مداً)) فقد وردت كلا زاجرة نافية متوعدة لقوله تعالى" سنكتب ما يقول" أي

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٩٩-١٠٠.

(٢) ينظر: الصاحبي لأبن فارس، ٢٩٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٢، تنظر الكشاف الزمخشري: ٣٥٥/١.

(٤) سورة الشورى، الآية: ٤٩.

(٥) سورة مريم، الآية: ٧٨، وينظر معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي:٤٣٢/٥.

يترتب على القول عقوبة موضحة بقوله تعالى "ونمد له من العذاب مداً" وجاءت "كلا" ردعاً وتنبيهاً على أنه مخطئ فيما تصوّرهُ له نفسه"[١].

وظهر الوعيد في قوله تعالى "سنكتب ما يقول"[٢] فسنظهر له أنا كتبنا قوله على طريقة قول الشاعر[٣].

إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيُمة

وأتضح من سياق الآية القرآنية" ونمد له من العذاب مدا"[٤] ونطول له من العذاب ما يستأهله أو نزيد عليه عذابه ونضاعفه له لكفره وافترائه واستهزائه على الله جلت عظمته، ولذلك أكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه[٥] وإذا عدنا إلى قوله تعالى ((لأوتين مالاً وولدا)) فإن اللام هذه أكدت قول الكافر وهو (العاص بن وائل) لقوله ألستم تزعمون أن في الجنة ذهباً وحريراً ومن كل الثمرات؟ قالوا بلى قال فإنَّ موعدكم الآخرة فوالله لأوتين مالاً وولداً مثل كتابكم الذي جئتم به فيضرب الله مثله في القرآن"[٦] (واتخذوا من دون الله آلهةً ليكونوا لهم عزًّا)، فجاءت (كلا) وقد أفاد دخولها على الفعل المضارع المسبوق بالسين التي تفيد حصول الحدث فيما بعد، وتهويله وهو واضح من قوله تعالى "واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا".

---

(١) البيضاوي: ٣٢٩، وينظر: معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي: ٤٣٢/٥.

(٢) تفسير م. ن، ص. ن.

(٣) لم اعثر على تخريج له.

(٤) ثم اعثر على تخريجه.

(٥) تفسير البيضاوي، ٣٢٩، وينظر: مختصر ابن كثير: ٤٦٤.

(٦) تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، وينظر تفسير ابن كثير الدمشقي، ١٣٥/٣.

٢. ((كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا))[١]

فاتخاذ الآلهة سبباً من أسباب العزة التي ستنتهي بالضد: أي بالذل والحسرة والندامة الدائمة لذلك قال ((ويكونون عليهم ضداً فلا يتبعهم من ذلك لا قليل ولا كثير))[٢] وضدية الأعوان بخلاف ما ظنوا فيها فتكون حالهم في النار على أحوال منها:

أ. قرناء في النار يلعن بعضهم بعضا[٣].

ب. ستجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا ((إذ تبرأ الذين إتُّبعُوا مِنَ الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب))[٤].

ج. وقيل نطغيهم طغياناً[٥] ولما كانت أحوال أهل النار علمها عند ربي من السوء والانتقام الآتي لا محالة وجِّه الله نبيه الكريم بالصبر عليهم وأن عذابهم مشهود و معدود له قال تعالى ((فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا))[٦] والمعنى لم يبقَ لهم إلا أيامًا محصوة وأنفاس معدودة))[٧].

٣. جاءت كلا مؤكدة أن لا رجعة عند مجئ الموت لتبديل العمل أو استبداله بما هو أحسن.

قال تعالى ((حتى إذا جاء أحدُهُم الموتُ قالَ ربِّ ارجعونَ لعلي أعملُ صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزَخ إلى يوم يبعثون))[٨].

فمجئ كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها لذلك جاءت بعدها الجملة مؤكدةً بأن وجملة (هو قائلها) حال منها إي من طلب الرجعة وهي أمر محال واستخدام

---

(١) سورة مريم، الآية: ٨٢.

(٢) ابن كثير، ص٤٦٤.

(٣) تفسير البيضاوي: ٣٣٩، وينظر: أسرار التنزيل وأنوار التأويل، فخر الدين الرازي: ٨٥/٩٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٦٦.

(٥) تفسير البيضاوي: ٣٣٩.

(٦) سورة مريم، الآية: ٨٤.

(٧) تفسير البيضاوي، ص:٣٣٩.

(٨) سورة المؤمنون، الآية: ٩٩-١٠٠.

الجار والمجرور وهو الخبر المقدم ((دل على إقناط كلي عن الرجوع إلى الدنيا[١] وذلك لوجود الحال وهو البرزخ[٢].

ومن هنا فإن لفظة) كلا (انحصرَّ نفيها الرادع لما قبلها وكذلك فعلها.

٤. جاءت (كلا) لنفي ما قبلها من دخول الرعب في قلوب من آمن مع موسى وقد أحاط بهم الخوف والرعب عندما لحق بهم أنصار فرعون فظنوا إنَّ لا ملجأ ولا مهرب منهم ((فلما تراء الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون))[٣] أي لمتتابعون بالهلاك على أيديهم[٤].

فكان جواب موسى نافيا وقاطعا لحدسهم وظنهم فقال ((كلا ان معي ربي سيهدينِ))[٥] وأود أن أقف هنا على هذه الثقة المتناهية والتوكل على الله حق توكله فاستعمل موسى التوكيد بمعية الرب ومعها سيكون الفرج آتٍ لا محالة لذلك نجد تركيب المضارع المسبوق بسين التنفيس فهي لذلك وللثقة التي ستحصل وهذا مثل ما كان من إبراهيم عليه السلام ((قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم))[٦] فكان أبو الأنبياء بحق إذ قال له جبريل وهو في طريقه إلى النار: هل لك حاجه فقال: أما إليك فلا فقال فسل ربك فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله تعالى ببركة قوله الحفيرة: روضه ولم يحترق منه إلا وثاقه فأطلع عليه نمرود من الصرح فقال إني مقرب إلى إلهك فذبح أربعة ألاف بقره وكف عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام وكان إذ ذاك ابن ست عشرة

---

(١) تفسير البيضاوي، ص٣٧٦.

(٢) م. ن و ص. ن تفسير المنار: ٦٥/١.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٦١.

(٤) تفسير البيضاوي، ص٣٩٩.

(٥) سورة الشعراء، الآية: ٦٢.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٦٩، وينظر أسرار التأويل: ٢٩٢.

سنة[١] وهكذا كانت نجاة إبراهيم عليه السلام المتوكل على الله حق توكله قال تعالى ((ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين))[٢] أي من العراق إلى الشام[٣].

وهكذا كانت منّة الله عليه قال تعالى ((وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين))[٤].

ومما تقدم يتبين ما لكلا من قوة الردع في النفي وشدته موافقا لما يتطلبه سياق استعمال (كلا) التي ليست نافية فقط بل منكرة ومحققة لنفي الحكم السابق لها بقوة اللاحق فمتى كانت أشعرتك بالهول وعدم الحول إلا لما كان حقا لا مدخل لشك عليه، فكانوا على أعلى درجة من التأهب للتنكيل به ((قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلينَ))[٥].

٥. ((مجئ كلا لمنفيات متعددة دونما اكتراث بأهميتها التي نسبت إلى المتكلم التي عدها من المعضلات وعدها من قبل الله مما لا يأبه على الإطلاق به)) وذلك كما في قوله تعالى: ((وإذ نادى ربك موسى أن آتتِ القوم الظالمين * قومَ فرعونَ ألاّ يتقون * قال ربِّ أني أخاف ان يُكذبون * ويضيقُ صدري* ولا ينطلقُ لساني فأرسل إلى هارون * ولهم عليَّ ذنبٌ فأخاف ان يقتلونِ* قال كلا فأذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون*[٦].

قال بعضهم في معرض تفسير هذه الآيات ((ليس ذلك تعللا وتوقفا في تلقي الأمر، بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذره فيه())[٧].

---

(١) تفسير البيضاوي، ص٣٥٦.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧١.
(٣) تفسير البيضاوي، ص٣٥٦.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٧٠.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٦٨.
(٦) سورة الشعراء، الآية:١٠-١٥.
(٧) تفسير البيضاوي.

ومثل ذلك قوله تعالى ((فلما تراء الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهديني)) وهذه الأمور التي ذكرتها الآيات في التفصيل قصة موسى مع القوم الذي كلف بدعوتهم، وطبيعة النداء لأمر يستوجب النصرة في الكف عن الأمر أوعليه[١] ولذلك جاء الجواب بـــ (كلا) عما تقدم جوابا لجملة في الأصل هي مقام جواب الشرط المسبوق بـــ ((لما)) إذا التقدير لما رأوهم قالوا[٢] ولما ضاقت الأمور أمر موسى ان يضرب البحر، ما اشد الثقة بالله وبقوته وعظمته، ضرب البحر يأتي بالفرج، قال تعالى ((فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كلُّ فِرْق كالطود العظيم))[٣] ثم يأتي النفي فقوله ((كلا ان معي ربي سيهدينِ))[٤] أي لن يدركوكم فأن الله وعدكم بالخلاص منهم وان معية الله لنا بالهداية في كل وقت مستقبل مهما اشتدت به الأزمات.

٦. مجئ كلا جواب لفعل الطلب كما في قوله تعالى ((قُل أرُوني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم))[٥].

فقد طلب منهم على وجه التبكيت والتعجيز حضور الشركاء في زعمهم فلما كان ذلك محالا جاء الجواب بالردع والاضراب عما قالوا بأن الحق هو الله العزيز الحكيم، وكان ذلك استفساراً عن شبهتهم بعد إلزام الحجة عليهم زيادة في التبكيت والتحقير لهم وردعهم بعد إبطال المقايسة بين معتقدهم الفاسد وبين حقيقة التوحيد[٦].

٧. مجئ كلا لنفي ما قبلها وتوكيد ما بعدها وتهويل ما سيكون عليه حال الكافرين من عقابهم بالنار قال تعالى ((يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذٍ ببنيه* وصاحبته

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٦٢.

(٢) شرح عيون الإعراب، أبو الحسن المجاشعي، تحقيق حنا جميل الأردن، ص١٢١.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٦٣.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٦٢.

(٥) سورة سبأ، الآية: ٢٧.

(٦) تفسير البيضاوي، ص٤٥٤.

وأخيه* وفصيلته التي تُؤويه* ومن في الأرض جميعا ثم يُنَجِيه* كلا انها* لظى نزاعةً للشوى تدعو من أدبر وتولى* وجمع فأوعى))[١].

وما مجئ كلا وأتباعها بجملة مؤكدة ومجئ الحال منها إلا خير دليل على عدم نجاة الكافرين من العذاب، وعدل بعد ذلك عن وصف النار إلى خيبة آمالهم قال تعالى ((أيطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم *كلا انا خلقناهم مما يعلمون))[٢].

وفي ذلك ردع لهم عن هذا الطمع غير المشروع مع قلة العمل فما هم في خلقهم الأولي الا كسائر الأحياء أو الحيوان بالأخص ولذلك ذكروا بأنهم لا بخلقهم بل بالعمل يتقربون أو يبتعدون.

٨. جاءت جواباً لسؤال أفاد التهكم كما في قوله تعالى ((عم يتساءلون عن النبي العظيم *الذي هم فيه مختلفون *كلا سيعلمون *ثم كلا سيعلمون) سورة النبأ الآية ١-٥ والذي يبدو ان النبأ كان بالنسبة لهم غير مهم ولا صحة لوقوعه واختلافهم فيه إنكار له مما اقتضى ان يكون الجواب مؤكداً رادعاً قال تعالى ((كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون)).

فجاءت (كلا) تكريراً للمبالغة و (ثم) للإشعار بأن الوعيد الثاني أشد وقيل الأول عند الفزع والثاني في القيامة أو الأول للبعث والثاني للجزاء))[٣].

٩. مجئ كلا ردع عند المعاتبة ذلك ان ما يراد واقع لا محالة للكف عنه قال تعالى ((وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى * فأنت عنه تلهى كلا انها تذكره * فمن شاء ذكره * في صُحُف مكرَّمة * كلا لما يقضي ما أمره))[٤].

ويفهم من الآيات التعجيز عن الامتثال الحقيقي من قبل الخلائق على اختلاف مستوياتها من لدن ادم إلى هذه الغاية ما أمره الله به إذ لا يخلو احد من تقصير[٥]

---

(١) سورة المعارج، الآية: ١١-١٨.

(٢) سورة المعارج، الآيتان: ٣٨، ٣٩.

(٣) تفسير البيضاوي، ص٥٦٩.

(٤) سورة عيسى، الآية: ٩-٢٣.

(٥) تفسير البيضاوي: ٦٠٠.

١٠. جاءت (كلا) سابقة لقسم كما في قوله تعالى ((كلا والقمر * والليل إذا أدبر * والصبح إذا أسفر.

ومجئ القسم بعدها دلالة وتوكيد على عظَّم أمر المنفي قبلها مثبت لما بعدها وذلك واضح من سياق الآيات الواردة في هذا المجال فقال تعالى ((كلا بل لا تخافون الآخرة))[١] وقال تعالى ((كلا انها تذكره))[٢].

فهي مؤكدة لردعهم بسبب إعراضهم لقولهم للنبي صلى الله عليه وسلم: لن نتبعك حتى تأتي لنا بكتاب من السماء فيه من الله ان آتِ فلاناً ليتّبع محمدا[٣]. وهذا ما يخالف مبدأ رسالة محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسل إلى الناس كافة ورحمة للعالمين.

((وما أرسلناك إلاَّ رحمةً للعالمين))[٤] وقوله تعالى ((وما أرسلناك إلاَّ كافة للناس بشيراً ونذيراً))[٥].

وهكذا كانت لنا هذه الرحلة المباركة مع كلا في كتاب الله العزيز الحكيم القرآن الكريم، واقفين عند معانيها والتراكيب النحوية للجمل التي جاءت بعدها والوقف[٦] عندما يستوجب من المعاني الدلالية الذي يفهم من سياق الجملة التي دخلت عليها كلا وما كان لها من تـــأثير رجعي على الجملة التي سبقتها فما قبلها هو المسبب له بدخولها على ما بعدها هذا ونسأل الله أن يجعلنا ممن يستمع القول ويستمتع به ويتبع أحسنه انه سميع مجيب والسلام.

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٣٢–٣٤.

(٢) سورة عيسى، الآية: ١١.

(٣) تفسير البيضاوي، ص٥٧٥.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٥) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

(٦) ينظر الوقف على كلا وبلى في القرآن الكريم لأبن فارس تحقيق الدكتور حسين نصار، ص١٠٢.

Kalla 'No' in Glorious Qur'an: Semantico-Syntactico Study

Asst. Prof. Dr. Abdul-Jabbar A. Salih

Abstract

This study aims at identifying different meanings of the response particle (kalla) 'No' and tracing its usage in the glorious Quran.

Kalla had many functions: negating, restraining and repelling what precedes it and confirming what follows it. Negation with Kalla differs from other negation particles; it denotes that what precedes it cannot be, at any rate, true whereas other particles negate the action without wondering about its reliability. Therefore, unlike other particles, the negated action precedes Kalla, and the sentence that follows it usually signifies confirmation, swearing, reassuring the audience/hearer and restraining which requires a reaction to a positive context some scholars count Kalla as having the meaning of 'yes' in fact, just the opposite, Kalla means 'no'; it negates the positive ness of an action.